



## ضرب الأمثال في السيرة النبوية - الجزء الأول

روائع

محاضرة بعنوان

2025-10-20

الأردن - عمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنّات الثّرات.

### ضرب المثل يوضّح الحقيقة وينقلها من المعنى المُجرّد إلى المعنى المحسوس فتتضح الصورة:

وبعد أيّها الإخوة الأحباب: فإنّ نبينا صلى الله عليه وسلم في السُنّة الصحيحة، ضرب مثلاً لنفسه مع قومه في أربعة أحاديث صحيحة، ليوضّح للناس، فضرب المثل يوضّح الحقيقة وينقلها، من المعنى المُجرّد إلى المعنى المحسوس فتتضح الصورة، المثل مهمته أن ينقل المعلومة من المعنى المُجرّد إلى الشّيء المحسوس المُشاهد الذي بين أيدينا.

مثلاً لو إنّ طفلاً قال لك كيف أوّمن بالله وأنا لا أراه؟ هو طفلٌ صغير، بالنسبة له شيءٌ مُجرّد لم يره بعينه، فأنت تقول له: يا بُني هل في هذه القاعة كهراء؟ يقول لك: نعم، تقول له: كيف عرفت ذلك؟ يقول لك: من الإضاءة، فتقول له: هل رأيت الكهراء؟ يقول لك: لا، تقول له: كيف استدلّيت على وجودها؟ يقول لك: من الإنارة الموجودة والصوت العالي، تقول له: وكذلك نحن لا نرى ربّنا في الدّنيا، ولكن نستدل على وجوده من خلال خلقه، ولله المثل الأعلى، كيف أوصلت الفكرة إليه؟ من خلال الحقيقة المحسوسة التي يراها بعينه، هذا يُسمّى المثل، والله تعالى في القرآن الكريم ضرب الأمثال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَاصْرُبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْتَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَهْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبَّازًا (32)

(سورة الكهف)

أمر بضرب المثل، وضرب الأمثال للناس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ حَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)

(سورة الحشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَقُلْنَا اصْرُبُوهُ بِنَعْيِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْمَلُونَ (73)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

(سورة البقرة)

فالنبي صلى الله عليه وسلم، ضرب مثلاً لذاته صلى الله عليه وسلم مع قومه، في أربعة أحاديث صحيحة، نأخذ منها اليوم حديثين اثنين.  
**الحديث الأول:** يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيثِي، وَإِنِّي أَنَا التَّذِيرُ الْعُرْبَانُ، فَالْتَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ  
مِنْ قَوْمِهِ، فَأُدْجُوا فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَدَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَاتِهِمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاخَهُمْ، فَكَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي  
وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَدَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

**(فالتَّجَاءُ)** أي انجوا بأنفسكم، الحديث في الصحيحين البخاري ومسلم، هذا الحديث فيه مجموعة من الدروس والعبر التي يمكن أن نستفيدها.  
**الدرس الأول:** أن النبي صلى الله عليه وسلم ينادي قومه يقول: **(يا قَوْمِ)** هذا النداء فيه تحبب وتودد **(يا قَوْمِ)** حذف الياء للتخفيف، هو ينسبهم إلى نفسه، رغم أنهم قبل الدعوة ليسوا على دينه، لكنه يتودد إليهم، وهذا ما فعله الأنبياء مع إخوانهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَأَنَابِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ نَارًا مِّن لَّهٖ كَارِهُونَ (28)

(سورة هود)

## كل الأنبياء لما يخاطبوا أقوامهم خاطبوهم (يا قوم) لم يتخلوا عنهم:

كل الأنبياء لما يخاطبوا أقوامهم خاطبوهم (يا قوم) لم يتخلوا عنهم، والنبى صلى الله عليه وسلم عندما جاءه ملك الجبال بعد الطائف وقال:

{ أَنَهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقَيْتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقَيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ تُفَيْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ بَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ التَّعَالِبِ، فَرَقَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ فُذِّ أَطْلُتْنِي، فَتَطَرْتُ إِذَا فِيهَا جِرْبُ، فَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ قَسَلَمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْسَبِيْنَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلَى أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْذُ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

{ شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ كُسِرَتْ رِبَاعِيئُهُ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَهَشَّتْ مِثْيَةُ عَيْنَيْهِ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ مَنْ يَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَمَنْ يَنْقُلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَمَاذَا جَعَلَ عَلَى جُرْحِهِ حَتَّى رَفَأَ الدَّمَ، كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَلَيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْقُلُ الْمَاءَ إِلَيْهَا فِي مَجْتَهَةٍ، فَلَمَّا غَسَلَتِ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهَا أَحْرَقَتْ حَصِيرًا، حَتَّى إِذَا صَارَتْ رَمَادًا أَخَذَتْ مِنْ ذَلِكَ الرَّمَادِ فَوَضَعَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى رَفَأَ الدَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَوْمَئِذٍ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ كَلَّمُوا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ

**قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون {**

(أخرجه مسلم والطبراني والترمذي)

## عندما تريد أن تدعو إنساناً إلى الله ينبغي أن تختار من الأساليب ومن الكلمات أحسنها:

فأنت عندما تريد أن تدعو إنساناً إلى الله، ينبغي أن تختار من الأساليب ومن الكلمات أحسنها، لا أقول الحسن وإنما الأحسن، رُبُّنا جَلَّ جلاله يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّى عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ (125)

(سورة النحل)

هذه الباء تُسَمَّى في اللغة بآء الاستعانة، أي مستعيناً بهذه الأدوات، ما هي الأدوات؟

**الأولى الحكمة:** والحكمة لم يصفها الله بأنها حسنة أو سيئة لأنها حكمة، والحكمة بحد ذاتها حسنة، ليس هناك حكمة سيئة، الحكمة أن تضع الشيء في موضعه، فالحكمة تقتضي أن تتعامل مع الناس كل بحسب ثقافته، كل بحسب بيئته، كل بحسب ما نشأ عليه، الحكمة تقتضي أن تُقدِّم شيئاً وتؤخِّر شيئاً.

## الحكمة أن تضع الشيء في موضعه:

مثلاً: شابٌ مُلتزم حديثاً غير الشاب المُلتزم وقد نشأ في بيئةٍ إسلامية، فالشاب المُلتزم طويلاً بدين الله عزَّ وجل، يمكن أن تُحدِّثه بالفرعيات وتأمِّره وتنهيه بالتفاصيل، بينما المسلم الجديد أو الشاب المُلتزم حديثاً، تأتي له بالعموميات والكليات، وتتغاضى عن بعض الجزئيات، هذا كله يُسَمَّى الحكمة، وهو أن تضع الشيء في موضعه، وأن تضع الخطاب في مكانه، وأن تُخاطب الناس على قدر عقولهم، وأن تُؤجِّل أشياءً أحياناً وتؤخِّرها لمصلحة تراها، ولحكمة تراها، والنبى صلى الله عليه وسلم لما أراد بعض الصحابة أن يقتلوا عبد الله بن أبي بن سلول، وهو يستحق القتل، فهو زعيم المنافقين ويؤلب الناس على دولة الإسلام، فيستحق القتل، لكن ماذا قال صلى الله عليه وسلم؟

{ عَزَّوَتَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ تَابَ مَعَهُ تَائِسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَعَصَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَصَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَحَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قَالَ: مَا سَأَلْتُمْ؟ فَأَخْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَوْهَا؛ فَإِنَّهَا حَبِيبَةٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْقَانَ: أَلَا تَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثُ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَخَدُّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ أَصْحَابَهُ. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

فراعى بجانب الحكمة شمعة الصف الإسلامي، فالناس لا يعرفونه منافقاً يعرفونه صحابياً، فلما إشاع في العرب أن محمداً يقتل أصحابه، يُعرض الناس عن الدخول في دين الله تعالى، من سيصدق أنه كان منافقاً؟ البعض القليل الذي رأى نفاقه، الباقي يقولون: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله لأنه ينازعه الملك، فحمى الشمعة، قال لعائشة رضي الله عنها:

{ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِكُفْرِ لَهَذْمَتُ الْكَعْبَةِ ثُمَّ أَعَدَّتْهَا عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ وَأَدَخَلْتُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْجِجْرِ أَدْرَعًا وَجَعَلْتُ لَهَا

بَابَيْنِ وَأَلْصَقْتُهُمَا بِالْأَرْضِ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

هو جزء من الكعبة لكنه خارج الكعبة، لأكمل بناءها، لكن لا يريد أن يُشعل في هذا الوقت فتنة، لأن القوم حديثو عهدٍ بكُفر، فيُشعل فتنة داخل الصف المسلم، يقول الإمام الغزالي: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم".

{ وَقَالَ عَلِيُّ: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَنْجِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ }

(صحيح البخاري)

هذه كلها تندرج تحت الحكمة.

الجانب الآخر: قال: (بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) الموعظة وصفها بأنها حسنة، إذاً هناك موعظة سيئة بالمفهوم المخالف.

## الوعظ هو أن تحض إنساناً على خير وتنهاه عن شر:

الوعظ هو أن تحض إنساناً على خير وتنهاه عن شر، هذا يحتاج إلى حُسن في الخطاب، كلمة جميلة طيبة، أن تبقى دائماً تُحذِّته عن نار جهنم، وكيف سيدخل إليها مُعظم الناس، وكيف ستشتعل بهم، وكيف سيخرج منها الحتن الأفرع والتعبان الأعمى، وربما بأحاديثٍ ضعيفة أو واهية، من أجل أن تُثير فيه الخوف دون أن تُنمي جانب الرعية، هذه موعظة سيئة، وأن يُمضي الداعية وقتاً طويلاً في الحديث عن رحمة الله، وأنا جميعاً مرحومون، واعص الله كما شئت، وسيشفع لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيضاً هذه موعظة سيئة، الموعظة الحسنة هي رغباً ورهباً خوفاً وطمعاً.

## من الصحيح أن تُخاطب المُجادِلَ بالتي هي أحسن:

بشاهدنا في الثالثة: قال: (وَإِذْ لَقِمْتُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) لما يكون مُعانداً مُعرضاً تحتاج أن تُجادله، ما قال: وجادلهم بالّخسنى، كما هي الموعظة، لكن قال: (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي هنا ينبغي أن تختار بين الحسن والأحسن، فتأخذ الأحسن، لأن هذا المُجادِلَ مُتمسكاً بأفكاره، فإذا جئت إليه تنهره وتقول له: أنت ضالٌّ مُشركٌ كافرٌ، فإنه سيتمسك بفكره أكثر وأكثر، لأنه يعتقد أن فكره مرتبط بكرامته، فلما تنقص له فكرته تنال من كرامته، فيزداد تمسكاً بفكرته، فالصحيح أن تُخاطبه بالتي هي أحسن، فمن هذا الباب نجد مثلاً خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

(سورة مريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ ۖ وَاهْجُرِي مَلِيًّا (46)

(سورة مريم)

استنكف أن يقول له يا بُني، بينما إبراهيم لا يترك (يا أبتِ إني أخاف) ما قال: يا أبتِ ألسنت خائفاً أن يمسكك، قال: (إني أخاف) أنا الذي خائف، أنا أخاف عليك، ثم قال: (أن يمسكك) المسك هو شيء خفيف جداً، ثم قال: (عذاب من الرخص) والكل يتخيل أن يقول له: عذاب من المنتقم الجبار، لكنه يريد أن يُفتربه قال: (عذاب من الرخص) فالأنبياء كلهم في تعاملهم مع المخالفين، تعاملوا بالنبي هي أحسن، (يا قوم) النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل بهذا المعنى.

### اليقين هو يقينٌ حسيّ ويقينٌ عقليّ ويقينٌ إخباري:

(إني رأيتُ الجيشَ بعيني) الآن كما قلنا سابقاً: اليقين هو يقينٌ حسيّ ويقينٌ عقليّ، ويقينٌ إخباري.

اليقين الحسيّ أن ترى الشيء بعينك، واليقين العقليّ أن تستدل على وجوده بعقلك كما ضربنا مثال الكهرباء، واليقين الإخباري أن يُخبرك رجلٌ صادقٌ بوقوعه، وأن لا تراه وليس هناك شيء من آثاره يدل عليه، فهذه هي مراتب اليقين.

النبي صلى الله عليه وسلم هنا يستخدم اليقين الحسيّ يقول: (مئلي ومئلي ما بعيني الله به كمئلي رجلٌ أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيتُ الجيشَ بعيني) النبي صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)

(سورة النجم)

فهو عندما يُبلِّغنا، يُبلِّغنا بشيءٍ رآه بعينه، فالعذاب قادمٌ قادم، والجنة قادمةٌ قادمة، كان أحد السلف الصالح يقول: **والله لقد رأيت الجنة والنار، فقالوا له: انظر فيما تقول! والله ما أحدٌ رأى الجنة والنار، نحن نعتقد بالجنة والنار لكن ما رأيناها، قال: لقد رأيتها عياناً، أراد أن يستفهم أكثر، قالوا له: وكيف ذلك؟! قال رأيتها بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورؤيتي لهما بعيني رسول الله أصدق عندي من رؤيتي لهما بعيني، لأن بصري قد يزيع وقد يطغى أما بصره:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17)

(سورة النجم)

### معنى النذير العُربان:

فاليقين في أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بالحقّ وأنه يتكلم حقاً، هذا من مفردات عقيدة المؤمن، فقال: (يا قوم إني رأيتُ الجيشَ بعيني، وإني أنا النذير العُربان) النذير العُربان مصطلحٌ عند العرب تقصد به أنه جاء رجلٌ يندهرهم بالجيش القادم أو بالخطر الدائم، حتى إنه ليشدّ الخطر لم يلبس ثيابه، أو أنه أراد أن لا يلبسها، ليُعلمهم أنه لو لم يكن الأمر جليلاً لما جئتكم على هذه الحالة، أو أنه نزعها لئيشير بها إليهم ليجتمعوا إليه، كلها معانٍ تجتمع معاً في أن العرب تقول فلانٌ النذير العُربان، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وإني أنا النذير العُربان) أي يُعلمهم من بيئتهم التي هم فيها، أنه أنا مُشفقٌ عليكم، جئت أنذركم شيئاً مُهماً جداً، مثل الذي يُذّر بالجيش صَحَّهم ومشايمهم، قال: (فالتجاة) جاءت بالنصب، أي الزموا النجاء، أغريكم بالنجاء، أنجوا بأنفسكم الجيش قادمٌ قادم، في الصباح يكون عندكم.

قال: (فإطاعة طائفةٍ من قومي، فاذلجوا) الذلجة هي ظلمة أول الليل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة }

(صحيح الترمذي)

## المسير ليلاً أسهل وقد حثَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم:

الله يبيئنا جنة عرضها السماوات والأرض، السلعة التي لديه تحتاج بذلاً، من البذل لها أن تمشي إليها، وأن تمشي في أول الوقت لا في آخره، لأنك في آخره لن تلحق الوصول، فيقال أدلج الرجل أي مشى من أول الليل، حتى إذا كان الصباح بلغ المنزل الذي أراده، لأنَّ العرب كانوا يسرون في سفرهم ليلاً أكثر، والنبي صلى الله عليه وسلم حثَّ على السفر ليلاً وقال:

{ عليكم بالليلحة فإنَّ الأرض تطوى بالليل }

(أخرجه أبو داود والبخاري وابن خزيمة)

المسير ليلاً أسهل، خاصة في الصحراء والحرارة العالية وحرَّ الصحراء، فالسير ليلاً فيه بركة أكثر، فقال: **(فأطاعه طابقهُ من قومِهِ، فأدلجوا فأنطلقوا على مهلِهِمْ) أي** بسكينة، معهم الوقت، فساروا ضمن الوقت، العدو لن يصل إليهم، لأنهم ضمن الوقت الذي يستطيعون فيه المسير.

## قصة السمكات الثلاث والحكمة منها:

هناك كاتب هندي اسمه بيدبا، ألف كتاباً اسمه كليله ودمته، ثم ترجمه للعربية فيلسوف مسلم اسمه ابن المقفع، كليله ودمته اسم حيوانين من الحيوانات، وتجري قصص مع الحيوانات لكن هي تمسُّ واقع البشر، هو يُعلمنا من خلال قصص بسيطة مع الحيوانات، فمن هذه القصص قصة عنوانها "السمكات الثلاث" ويروي فيها ابن المقفع بأنه كانت هناك ثلاث سمكات في بحيرة صغيرة، فمَرَّ صيادان فتواعدا أن يأتيا في اليوم الثاني ليصطادا ما في البحيرة من أسماك، فسمعت السمكات الثلاث قول الصيادين، فأما الأولى فقالت: العاقل من يحتاط للأمور قبل وقوعها، أي الأمر لا يحتاج تأجيل، تواعدا أن يأتيا، قال فما زالت تحاول حتى فقزت من البحيرة فنزلت في الغدير ونجت بنفسها.

قال: وأما الأقل كياسةً وعقلاً وجزراً، بقيت في مكانها، فلما حضر الصيادان تماوتت، أي طقت على وجه الماء وكأنها ميتة، فأخذها وألقاها على التراب، فقفرت ونزلت في الغدير فنجت، لكن الأمر كان خطراً جداً، إذا أن تنجو أو لا تنجو، يعني وضعت نفسها في موضع خطير، لكن قالت: العاقل لا يعدم حيلة، الأولى قالت: العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، يمشي في أول الليل، الثانية قالت: العاقل لا يعدم حيلة، أنا أعرف كيف أنقذ نفسي، وقَعلاً نجت، لكن وضعت نفسها بدقائقٍ حرجيةً جداً، وخوفي شديد.

قال: وأما الثالثة فما زالت بين إقبالٍ وإدبار، سهاها ابن المقفع العاجزة، قال حتى جاء الصيادان فاصطادها وأكلها، يعني المؤمن هو الكيس الأول:

{ الكيسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجزُ من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان }

(أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه)

قال: **(فأطاعه طابقهُ من قومِهِ، فأدلجوا فأنطلقوا على مهلِهِمْ) معه وقت لا داعي أن يضع نفسه في الوقت الحرج، قال: (وكذبته طابقهُ منهم فأصبحوا مكاتهُم) هُنا أصبحوا تامة وليست ناقصة، أصبح من أخوات كان تأتي تامة وتأتي ناقصة.**

ناقصة مثلاً: أصبح الرجل نشيطاً، تحتاج إلى اسم أصبح وخبر، أما أصبح الرجل أي دخل في الصباح هذه تامة، فقال: **(فأصبحوا مكاتهُم) أي دخل عليهم الصباح وما زالوا مكانهم، قال: (فصبحهم الجبن) هجم عليهم في الصباح (فأهلكهم وأجتاحهم) جاء العذاب لأنهم لم يأخذوا الأمر عُدته، ولم يتأهبوا للنجاة، قال: (قدلك مثل من أطاعني وأتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق).**

## الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنفين:

إذاً الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنفين:

الأول أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني كذب ما جاء به، الأول نجا ومشى في الطريق، وأدرك قبل مجيء الموت والعذاب، والثاني بقي في تكذيب وإعراض ونفورٍ وشك، حتى جاءه الموت ولم يُدِّم شيئاً فاستحقَّ عذاب الله تعالى.

هذا المثال العظيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل أن يدفع المسلمين، من أجل أن يتَهَضَّ بحالهم، من أجل أن يُبين لهم أنَّ الوقت ليس في صالحنا، الوقت قصير، بين مساءٍ وصباحٍ يُغير علينا الأعداء، والأعداء هُنا ليسوا أعداءً تقليديين، ولكن الذنوب التي تتراكم، والخطايا، والمعاصي، ثم الموت الذي يأتي لا بدع للإنسان وقتاً ليتوب.

{ إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُعزِرْهُ }

{ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }  
(صحيح البخاري)

### الرحمة واسعة والجنة لا تضيق بأهلها:

فالذي يعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعصي الله طبعاً، إنما يقول بلسان حاله لا بمقاله، أنا لا أريد دخول الجنة، لأنَّ طريق الجنة فتحوها القاعة وقالوا: من معه التذكرة يدخل، أحد الناس عليم أنه يجب أن يقطع تذكرة وجاء بلا تذكرة، فقالوا: لن ندخلك، فقال: هل تضيق القاعة عن أن أدخل إليها؟ قالوا: والله لا تضيق، المكان موجود، لكن أنت تعلم ونحن أعلمنا أن الدخول بالبطاقة وأنت لم تُحصِرِ البطاقة، فرينا عزَّ وجل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَكَتُبْنَا لَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ □ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

(سورة الأعراف)

لا تضيق رحمته عن أن يدخل الناس جميعاً الجنة، لكن بعدها قال: **(فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ)** ووصفهم جلَّ جلاله، فالرحمة واسعة، والجنة لا تضيق بأهلها، لكن الله عزَّ وجل جعل لها طريقاً فمن أعرض عنها فهو الذي لا يريد دخول الجنة.

**الحديث الثاني:** في ما يُمتلئ به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مع الناس، قال:

{ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْقَرَأِشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ  
وَيَغْلِيئُهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَحَدُ بَحْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا. }

(صحيح البخاري)

**(فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)** هذا اقتباسٌ من كتاب الله تعالى، القَرَأِشُ والدواب الصغيرة البرغش والدباب وغيره، مصدر النور يأتي إليه وهو لا يدري أنه سيُحرقه، الدنيا حَصْرَةٌ تُضِرُّ، كيف النار فيها جانب النور وفيها جانب الإحراق، كذلك الدنيا فيها جانب النور، حَصْرَةٌ تُضِرُّ، نساء، وأموال، وقصور، وسيارات فارهة، وشهوات، فجانِبِ النور فيها موجود، لا أحد يقول ليس فيها مُتْع، الدنيا فيها مُتْع، رَبُّنَا رَبُّنَهَا، رَبُّنَا قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رُزِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ □ ذَلِكَ مَتَاعُ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا □ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)

(سورة آل عمران)

## الله عز وجل زين الدنيا لنا:

الله زينها، وإن كان بعض العلماء قالوا: الشيطان زينها لكن بالنتيجة رثنا أراد ذلك، سواءً سمح للشيطان أن يزينها لنا أو زينها، لكن بالنتيجة الفعل فعل الله، وسيدنا عمر لما قرأ: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) قال: "يا ربِّ إنا لا نستطيع إلا أن نغري بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقهم"، أنا لا أستطيع، المال مزين لي، أراه فارضه؟! قال: لكن أسألك أن أنفقه في حقهم، انظر إلى الفهم العمري، أنا ليس المطلوب مني أن أكره الدنيا، المطلوب أن أستخدمها في طاعة الله، وفيما يرضي الله، فالدنيا مزينتنا لنا بكل ما فيها (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبِينِ وَالتَّقَاتِيرِ الْمُقَطَّرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالعِصَةِ وَالتَّخِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَزْبِ) ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).

قال: (فَلَمَّا أَصَابَتْ مَا حَوْلَهُ) هذا الجانب الإيجابي من النار، فالقراش والدواب لضعف إدراكهم، طنوا أنهم الآن عندهم مصدر للنور فهجوا عليها، وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، يحرقون أنفسهم وما يشعرون، يطنون أنهم جاؤوا إلى مركز النور وقد جاؤوا إلى النار المحرقة (فَجَعَلَ يَنْرِغُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ) هذا الرجل الذي استوقد النار خائف على القرّاش، هو أشعل النار ولا يريد أن يحرق فيها أحداً.

(فَجَعَلَ يَنْرِغُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَفْتَحِمْنَ فِيهَا) انظروا إلى التعبير النبوي، يقتحم أي اقتحام، مُصْرِّ على الوقوع في النار، قال: (فَأَنَا أَخَذُ بِخَجْرِكُمْ) الخَجْر بمعنى أن يستجد به، يعني المكان الذي يمكن أن تمسكه منه فتتحكم به، قال: (فَأَنَا أَخَذُ بِخَجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَفْتَحِمُونَ فِيهَا)

## بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلوها بليغ ولا يصل إليها أحد:

انظر إلى هذا التعبير النبوي! حقيقة بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلوها بليغ ولا يصل إليها أحد، انظر إلى المثل كيف تصوّر الواقع وتُصوّر الحالة، وكيف يحدث في أنفسنا أثراً، أن نستجيب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
يَا أَيُّهَا الذِّیْنَ آمَنُوا اسْتَجِیْبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِیْكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَیْهِ  
تُحْشَرُونَ (24)

(سورة الأنفال)

هو يدعوننا للنجاة من النار المحرقة، ونحن نفتحمها اقتحاماً بالمعاصي، وبالذنوب، وبالآثام، وبدم التوبة، وبالإصرار على المعاصي، وبالاستغراق في الدنيا، وبالاستجابة للشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، فأمر عيب جداً أن النبي صلى الله عليه وسلم واقف على النار، ويدفعها عنها، وينها عنها، ونحن نريد أن ندخلها، لا أقول نحن نسأل الله أن لا نكون منهم، لكن أقصد من ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذان الحديثان يا كرام، مما مثل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مع قومه ومع الناس من حوله، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ولعلهم يعقلون، فلعل هذين الحديثين يكونان دافعاً لنا على مزيد من الاستقامة على منهج الله، مزيد من التمسك بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مزيد من السؤال عن الحلال والحرام، عن يجوز ولا يجوز، وافعل ولا تفعل.

## أمة الإسلام لديها منظومة عظيمة من القيم والأخلاق:

نحن أحيانا الكرام أمة الإسلام، والله لدينا منظومة من القيم، ومنظومة من الحلال والحرام قد جاوزنا بها أم الأرض، اليوم أنت كمسلم يُعرض عليك شيء من دنيا، شيء من مال، شيء من منصب، تقول: سأسأل يجوز أو لا يجوز، أين يجوز أو لا يجوز؟! ما مقياس الناس؟ مقياس الناس اليوم بوجد فائدة أو لا بوجد فائدة؟ بوجد مصلحة أو لا بوجد مصلحة؟ لكن ليس يجوز أو لا يجوز؟ يعني قد يضحك منك وأنت تقول: لا مستحيل أن أخذ قرشاً من حرام، معاذ الله أن أدخل قرشاً من حرام إلى بيتي، معاذ الله أن أجلس مع امرأة لا تحل لي، فهذه منظومة القيم التي ألفناها حتى طنانها شيء عادي، هي منظومة عظيمة من القيم والأخلاق، والعالم اليوم يتسابق إلى التيل من هذه المنظومة القيمية التي يعيشها المسلم، يريدون أن يجردوا المسلمين من هذه المنظومة وحالهم:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ بَطَّحَرُونَ (82)

(سورة الأعراف)

لا نريد في هذا العالم شخص يقول هذا لا يجوز، كله يجوز، ذكّر وأشى يجوز، ذكّر وذكّر يجوز، وذكّر وحيواناً يجوز، والحقّامات مع بعضها، نريد أن ننهي من قصة لحظة لأسأل، كلنا سنكون مثل بعض، كلنا غير منصبتين، والله هذا حال العالم اليوم، العالم اليوم سعيه أننا نريد أن نذهب إلى النار جميعاً معاً.

ألم يقولوا لترامب منذ يومين: هل تعتقد أنك ستدخل الجنة؟ فقال: لا شيء يُدخلني الجنة، وهو على باب الطائرة قالوا له: على اعتبار أنك تسعى لإيقاف الحرب، هل تعتقد أن هذا الشيء سيُدخلك الجنة؟ قال: أنا لا أعتقد أن هناك شيء سيُدخلني الجنة، أنا لست من أهل الجنة أبداً، هل هي ذلة لسان؟ أم هل هو كلام حق؟ الله أنطق، فالنتيجة أن العالم اليوم يتسابق للتيل من هذه المنظومة القيمية التي تتعامل بها، أنا لا يجوز أن أظلم أحد، لا يجوز أن أؤذي أحد، هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذه تحل لي وهذه لا تحل لي، هذا المال ربا، هذا المال سرقة، هذا فيه غش وهذا فيه تدليس، منظومة قيمية عظيمة نعيشها، جعلتنا في سكينه وفي سلام مع أنفسنا ومع الناس من حولنا.

الآن يحاول العالم كله أن ينتزعها، لأنه لم يبق إلا هي، يعني معظم بقايا الشرائع القديمة أصبحت طقوساً، إلا ما بقي منها من الفطرة السليمة موجود لا ننكره، لكن كمنظومة اليوم: فقه، وحديث، ودراسة، ومُبتلات، ويجوز، ولا يجوز، مُبتلات كذا، مكروهات، هذه المنظومة العظيمة غير موجودة الآن إلا في ديننا الإسلامي، فاليوم يتسابق الغرب أو الشرق للتيل من هذه المنظومة، فأسأل الله تعالى أن يُعينا على مزيد من الطاعة لله تعالى ولرسوله.

## الدعاء:

اللهم إنا نسألك لأهلنا في غرة فرجاً عاجلاً، نسألك يا الله يا أرحم الراحمين، أن تهلك عدوهم، وأن تُثبّتهم، وأن ترحمهم، وأن تطعم جائعهم، وتكسو عُريانهم، وترحم مُصابهم، وأن تجعل لنا في ذلك عملاً صالحاً مُتقبلاً.

اللهم أطعم من أطعمنا، واسق من سقانا، وأكرم من أكرمنا، اللهم بارك البيت والدار وأهلها، وبارك من فعل فيها خيراً، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.

نور الدين الاسلامي